بنية المجاز في الخطابة في القرن الأول الهجري

دراسة بلاغية أسلوبية لنماذج مختارة

محمود سليمان إمام(*)

مقدمة :

الخطابة فن نثري إلقائي، يهدف منه الخطيب إشباع عواطف السامعين وإرضاء عقولهم بالحجة والبرهان، وهي إذًا كما يقول الدكتور محمد طاهر درويش "فن من فنون القول يخاطب به الجمهور، ويتجه إلى الإقناع والاستمالة عن طريق السمع والبصر معا"[١]. ولما جاء الإسلام الحنيف بدعوته التي يقصد بها العقول والعواطف لتطهيرها وتصفيتها وتزيين حدائقها بقيم وعادات رفيعة وأخلاق نبيلة، كما قال الله تعالى: ({إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد} [ق: ٣٧])، اتخذ الخطابة وسيلة لبث دعوته وسلاحا للدفاع والذب عنها. فخطب الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء وأمراء الجيش، وأتوا في خطبهم بفنون القول المختلفة، وأساليب بيانية متنوعة، وتعبيرات مجازية متباينة، وسيذكر الباحث نماذج منها حسب فنون المجاز المختارة في هذا البحث.

والبحث منقسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث ثم خاتمة على النحو التالي:

١. مقدمة. ٢. المبحث الأول: بنية الاستعارة. ٣. المبحث الثاني: بنية المجاز المرسل.
٤. المبحث الثالث: بنية المجاز العقلي. ٥. خاتمة.

المبحث الأول: بنية المجاز بالاستعارة.

لقد اتخذت الخطابة في القرن الأول الهجري الاستعارة أداة من أدوات الإقناع أو أسلوبا من أساليب التعبير الرفيع الهادف، الذي يؤثر في عقول السامعين ويثير عواطفهم. لذلك عندما تقرأ هذه الخطب قراءة متأنية تصادفك جواهر من الاستعارات النفيسة، تشارك غيرها من الأدوات البيانية في إبراز المعنى وتوضيحها، والسطور التالية نماذج من استعارات مختلفة.

من الاستعارات ما ورد في الخطب الآتية:

خطبة عمر:

(*) باحث دكتوراه في قسم البلاغة والنقد والأدب المقارن كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - مصر.
محاضر في قسم اللغة العربية - جامعة عمر موسي يَرْأَدُوَا كَاتْسِينَا - نَيْجِيرِيَا.

لما كان عمر رضي الله عنه بالشام، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:

"**يأهل الإسلام، إن الله قد صدقكم الوعد، ونصركم على الأعداء، وورثكم البلاد، ومكن لكم في الأرض، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم، وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم، ثم لم يفزعوا إلى التوبة، إلا سلبوا عزهم، وسلط عليهم عدوهم**" ثم نزل.[٢]

قوله: "لم يفزعوا إلى التوبة" فيه نوع من الاستعارة التصريحية[٣] في الفعل حيث شبه اللجوء إلى التوبة والاستعانة بها بالفزع؛ لما في كل من معاني التسرع، وطلب النجدة، والخوف، واختار فعل الفزع لأنه أكثر دقة في بيان معنى السرعة، يقول زهير:

إذا فَزِعُوا طارُوا إلى مُسْتَغِيثِهِمْ، ... طِوالَ الرِّماحِ، لَا ضِعافٌ وَلَا عُزْلِ[٤]

ثم اشتق من الفزع بمعنى اللجوء والاستغاثة (يفزعوا) بمعنى يلجؤوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية[٥]

كما شبه الإذلال والتحقير بالسلب في قوله: "إلا سلبوا عزهم" أي أذلوا وحقروا، لما بينهما من علاقة في الخسارة والهوان، وسوء العاقبة، فاشتق من السلب فعل "سلبوا" بمعنى أذلوا على الاستعارة التبعية. واختار صيغة الماضي ليؤكد تحقيق وقوع الفعل، وكذلك لم يذكر الفاعل لاستغناء المقام عنه، لعلم المخاطب به، ولغرض الإجلال والتخويف.

ومن ذلك ما جاء في خطبة عبد الرحمن بن عوف، قال:

"**يا هؤلاء، إن عندي رأيًا، وإن لكم نظرًا، فاسمعوا تعلموا، وأجيبوا تفقهوا، فإن حابيًا[٦] خير من زاهق[٧]، وإن جرعة من شروب[٨] بارد، أنفع من عذب موبٍ[٩]، أنتم أئمة يهتدى بكم، وعلماء يصدر[١٠] إليكم، فلا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم، فتوتروا[١١] ثأركم، وتؤلتوا[١٢] أعمالكم، لكل أجل كتاب، ولكل بيت إمام، بأمره يقومون، وبنهيه يرعون، قلدوا أمركم واحدًا منكم، تمشوا الهوينى، وتلحقوا الطلب، لولا فتنة عمياء، وضلالة حيراء، يقول أهلها ما يرون، وتحلهم الحبو كرى[١٣]، ما عدت نياتكم معرفتكم، ولا أعمالكم نياتكم، احذروا نصيحة**

الهوى، ولسان الفرقة، فإن الحيلة في المنطق أبلغ من السيوف في الكلم، علقوا أمركم رحب الذراع فيما حل، مأمون الغيب فيما نزل، رضا منكم وكلكم رضًا، ومقترعًا منكم وكلكم منتهًى، لا تطيعوا مفسدا يتنصح، ولا تخالفوا مرشدًا ينتصر، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم":[١٤]

لما أراد سيدنا عمرو رضي الله عنه أن يحمل سامعيه إلى فهم ما في التفرقة والاختلاف من خطر جسيم يعوق النصر في ميدان الحرب، اختار لذلك أسلوب الاستعارة، في قوله: "فلا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم" وقد علق ابن منظور على هذا بقوله: " أراد لَا تَخْتَلِفُوا فَتَقَعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَكُمْ فَيَنْثَلِمَ حَدُّكم، فَاسْتَعَارَهُ لِذَلِكَ".[١٥] أي أنه شبه قوة الإسلام وشوكته بالمدى، لعلاقة المشابهة، في مواجهة العدو وكسر شوكته، والقرينة في ذلك قوله: "بالاختلاف بينكم".

فنقطة البداية في هذه الاستعارة هي المدى –جمع مدية –وهي شيء حسي ينتفع به الإنسان في حاجاته والدفاع عن نفسه، والغاية الاستعارية قوة الإسلام وهي أمر عقلي ومعنوي يفيد الإنسان ويدافع عن إنسانيته، فالمجال الاستعاري كون كل منهما له تعلق بالإنسان وبحياته، غير أن الأول شيء حسي وظفه المتكلم ليجسد به الثاني الغاية كي يظهر أمام المتلقي ويشاركه في الأحاسيس.

ومنه ما جاء في خطبة عثمان رضي الله عنه في الرد على الثوار:

وقال يرد على الثوار:

"الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، أما بعد: فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء، أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصًا قمصنيه الله عز وجل، وأكرمني به، وخصني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع، ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني والله الفقير إلى الله، الخائف منه".[١٦]

البناء المجازي يكمن في قوله: "فلا أنزع قميصا قمصنيه الله" حيث شبه الخلافة بالقميص، وحذف المشبه وأقام المشبه به مقامه، والعلاقة التي في هذا الحقل الدلالي هي: كون كل من المحورين الدلاليين –القميص والخلافة –له تعلق بالإنسان، يزينه، ويزيد جماله وهيبته، ويحفظ

مروءته، إلا أن الأول –أي القميص–شيء حسي، والثاني –أي الخلافة–معنوي، ومن هنا تظهر بلاغة الاستعارة حيث أسهمت في إبراز المعنى المجرد وتجسيده، ليظهر أمام المتلقي بجميع ما ينطوي عليه من المعاني. وقد قامت القرينة في قوله: "قمصنيه الله" بدور في تأكيد هذه الاستعارة وترسيخها.

وجاء في خطبة أخرى لعمرو بن العاص:

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين، يحرض أهل الشام "وقد كان منحنيًا على قوس" فقال:

"**الحمد لله العظيم في شأنه، القوي في سلطانه، العلي في مكانه، الواضح في برهانه، أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، في كل رزية من بلاء، أو شدة أو رخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم إنا نحتسب عند الله رب العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، من اشتعال نيرانها، واضطراب حبلها، ووقوع بأسها بينها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.**

أولا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم، وصيامنا وصيامهم، وحجنا وحجهم، وقبلتنا وقبلتهم، وديننا ودينهم واحد؟ ولكن الأهواء مختلفة، اللهم أصلح هذه الأمة بما أصلحت به أولها، واحفظ فيما بيننا، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم، وبغوا عليكم، فجدوا في قتال عدوكم، واستعينوا بالله ربكم، وحافظوا على حرماتكم" ثم جلس.[١٧]

ذكر سيدنا عمرو في هذه الخطبة تعبيرين مجازيين بالاستعارة المصرحة، الأولى في قوله: "اشتعال نيرانها" والهاء في "نيرانها" ضمير يعود إلى الأمة الإسلامية، وأراد بالنيران تلك الفتن التي اندلعت حينها بين المؤمنين حول مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، ولما أراد عمرو بن العاص – رضي الله عنه، أن يشير إلى خطر هذا الموقف الشديد، وما فيه من عاقبة سيئة لهذه الأمة، اختار أسلوبا استعاريا، وجعل الفتنة نيرانا مشتعلة، والعلاقة بين المستعار منه والمستعار له هي أن كل واحد منهما يبدأ ضئيلا ثم يتفاقم أمره وتنتشر عدواه، ففي كلا البعدين معنى الاستمرار، غير أن الأول شيء حسي والثاني معنوي مجرد، يحاول الخطيب أن يجسده حتى تظهر دلالته واضحة أمام السامعين.

وقد حدث الأمر نفسه في الجملة الثانية عند قوله: "واضطراب حبلها" أي أصاب وحدتها شيء من الارتباك والتشوش والخلل، فعدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب مجازي بالاستعارة ليزيد الموقف وضوحا، فجسد وحدة الأمة، وجعلها حبلا يتمسك بها المسلمون، يثبت أمرهم بثباتها، ويتشوش بتشويشها، والوحدة من المعاني المجردة التي قد يزيدها التجسيد وضوحا.

وجاء في خطبة لأبي بكر في الملوك، قال:

"**فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الاثر، ويموت لها البشر، وتحيا بها الفتن، وتموت لها السنن، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، واعتصموا بالطاعة، ولا تفارقوا الجماعة. وليكن الابرام بعد المشاورة، والصفقة بعد طول التناظر. أيّ بلادكم خرشنة؟ فإنكم سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها.**"[١٨]

شبه إثارة الفتن وتزيينها في القلوب بالإحياء، واستعار الإحياء للإثارة، واشتق من الإحياء – بمعنى الإثارة –تحيا بمعنى تثار استعارة تبعية، فالإحياء نقطة البداية في هذه الاستعارة، وهي ظاهرة معنوية طبيعة، لها تأثير الانتعاش والتحريك في الكائنات الحية، و الإثارة هي الغاية الاستعارية؛ وهي شيء معنوي له تعلق –سلبي أو إيجابي –بالحيوانات، بما فيه من الجاذبية والإغراء، والمجال الاستعاري بين البعدين، كونهما في حقل دلالي واحد له تعلق –إيجابي –بالحيوانات، وكون كل منهما معنى من المعاني المجردة المعنوية، وقد أدت الاستعارة دورا في أنها زادت الصورة تعلقا بالذهن.

كما شبه ترك السنن والإغفال عنها بالإماتة، واشتق من الإماتة –بمعنى الترك –تموت بمعنى تترك استعارة تبعية، فالعلاقة بين النقطتين الاستعاريتين، كون كل منهما شيء طبيعي له تعلق سلبي بالحيوانات، وكونهما من المعاني المجردة المعنوية، وفقد أدت الاستعارة دورها في إرساء الصورة بالذهن مع كونهما من المعاني المجردة.

–ومما جاء من المجاز بالاستعارة في خطب القرن الأول الهجري ما روي من قول الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته المشهورة:

"إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني ناظر إلى الدماء بين العمائم واللحى".[١٩]

استعمل الحجاج الأسلوب المجازي في هذا الموقف المهم لسياسته الجديدة مع أهل العراق، والتي تتطلب شيئا من الحدة؛ لما يحيط بها من أوضاع صعبة، فجعل الرؤوس التي تعتبر قوام الحياة لدى الإنسان ثمارا يانعة، تنتظر من يقطفها، لكنه لم يصرح بالمشبه به، بل رمز له بشيء من لوازمه، على طريقة الاستعارة بالكناية، وهو قوله: "قد أينعت" واختيار كلمة أينعت يوحي بما فيها من قرب زمن القطف، كما لا يخفى ما في ذلك من التهديد، وكذلك التنكير في كلمة الرؤوس يزيد الكلمة تأثيرا في نفوس السامعين، لما فيها من الإطلاق والإبهام، فلا يكاد يوجد من بين الحاضرين من يثق بنفسه، ويأمن مكر ما تنطوي عليه هذه الكلمات الصاعقة.

ومن ذلك ما جاء في خطبة عتبة بن غزوان السلمي بعد فتح الابلة

حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم قال:

"أما بعد فإن الدنيا قد تولّت حذّاء مدبرة، وقد آذنت أهلها بصرم، وإنما بقي منها صبابة كصبابة الإناء يصطبّها صاحبها. ألا وإنكم منقولون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما يحضركم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى في النار من شفيرها فيهوي فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا."[٢٠]

أراد عتبة رضي الله عنه أن يحمل المستمعين إلى إدراك قلة متاع الحياة الدنيا؛ لسرعة زوالها، وقلة ثبوتها على حالة، فشبهها بناقة شرود يزجرها حاديها وهي مدبرة عنه، فحذف لفظ المشبه ورمز له بشيء من لوازمه، وهو قوله: "تولت حداء مدبرة"

وشبه الدنيا في قوله: "وقد آذنت أهلها بصرم" بفتاة محبوبة لدى أهلها إلا أنها على العكس "آذنتهم بصرم" أي أعلنتهم بانقطاع، وذلك لأن الإعلام والاستئذان من أفعال البشر فلا يصوغ أن

يصدر من غيره إلا عن طريق الاستعارة كهذه، ومن سر هذه الاستعارة أنها قرّبت المعنى إلى ذهن السامع حيث اختار المتكلم ظاهرة اجتماعية يعيشها الإنسان، فشبه بها ظاهرة خيالية يدركها هو بنور الإيمان.

وخطبت السيدة عائشة رضي الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت:

"**أيها الناس: صه صه، إن لي عليكم حق الأمومة، وحرمة الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري[٢١] ونحري، فأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادخرني ربي، وخلصني من كل بضاعة، وبي ميز منافقكم من مؤمنكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء[٢٢]، ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما وأول من سمي صديقًا، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيًا عنه، وطوّقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين بعده، فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق[٢٣] النفاق، وأغاض نبع الردة، وأطفأ ما حش[٢٤] يهود، وأنتم يومئذ جحظ العيون، تنظرون الغدرة، وتسمعون الصيحة، فرأب الثأي[٢٥] وأود ه من الغلظة، وانتاش من الهوة**".[٢٦]

قولها: "طوقه أعباء الإمامة" استعارة بالكناية حيث شبهت الإمامة بقلادة يجعلها الإنسان على عنقه، فحذفت المشبه به ورمزت له بشيء من لوازمه وهو قولها: "طوقه" أي حمله ثقلها، ثم جردت الاستعارة بقولها: أعباء الخلافة، فأضافت إلى الخلافة لفظة الأعباء إشعارا بما فيها من التكاليف المضنية، فزادت القلادة معنى آخر، غير متعارف في العرف اللغوي، لكونها في الأصل اللغوي شيء من الحلي، يزين عاتق لابسه، وليس عبئا ينوء به. والاستعارة مكونة من جملة فعلية: (فعل + فاعل + مفعول به)

كما شبهت ما أحدثه اليهود من الفتن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنار في قولها: و"أطفأ ما حش اليهود" ثم حذفت المشبه به، ورمزت إليه بشيء من لوازمه وهو قولها: "أطفأ" وقولها: "حش" يقال أطفأ النار فانطفأت أي خمدها، ولأن الحش من صفات النار، يقال حش النار يحشها أي أوقدها، فالاستعارة مبنية على جملة فعلية مكونة من فعل + فاعل + مفعول به وهو ما المصولة وجملة الصلة.

وقال زياد بالبصرة، في خطبته التي تدعى البتراء[٢٧]:

وجاء في خطبة أبي موسى الأشعري:

وكاتب الإمام علي من الربذة أبا موسى الأشعري –وكان عامله على الكوفة–ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها، فثبطهم وخطبهم، فقال:

"أيها الناس: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن، أعلم بالله جل وعز وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقًّا، فأنا مؤديه إليكم، كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل، ولا تجترئوا على الله عز وجل، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة، فتردوهم إليها، حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلفوا الدخول في هذا، فأما إذ كان ما كان، فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف، وأنصلوا الأسنة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم والمضطهد، حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة".[٢٨]

الجمال الاستعاري في تشبيه الفتنة بإنسان أصم الذي لا يسمع، فحذف الشبه به وهو الإنسان ورمز له بشيء من لوازمه في قوله: "الصماء"، فالإنسان الأصم هو خط البداية والغاية الحرب، والمجال الاستعاري؛ أن الأصم إنسان له عادات تخالف ما عليه المجتمع الإنساني، وهذه العادات ملازمة له ومستمرة، لا يسيطر عليها بسهولة، والحرب أمر أو ظاهرة اجتماعية لها عادات لازمة يكرهها الإنسان، وقد لا يستطيع السيطرة عليها، فالمجال الاستعاري أو العلاقة الاستعارية هي؛ كون كل منهما له تعلق بالحياة الاجتماعية، ولا يرتاح إليه المجتمع، ولا يقدر السيطرة عليه بسهولة، إلا أن الأول ظاهرة حسية يراه المخاطب، وهو جزء من المجتمع، والثاني معنوية يعيشها الإنسان ويمارس ويلاتها، فاختار الخطيب هذه الصورة ووظفها في هذا الموقف الشديد، كي يأخذ بأيدي المستمعين إلى إدراك ما فيه من العواقب الوخيمة.

كما جاء باستعارة أخرى في قوله: "حتى يلتئم هذ الأمر" أي حتى ينكشف غباره، فشبه الحالة التي أصبح فيها المسلمين بالجرح في الجسد، إلا أنه حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه؛ وهو قوله: "يلتئم" أي يندمل، لأن الالتئام من صفات الجروح فذكرها هنا يوحي بشيء من التجوز الاستعاري، والعلاقة الاستعارية بين المحورين الاستعاريين هو؛ كون كل منهما له تعلق سلبي

بحياة الإنسان، يسلبه الراحة، وقد يؤدي إلى فقدان حياته، وغير ذلك من المثالب، إلا أن الأول خط البداية –الجروح –أمر حسي يراه الإنسان ويقاسي شدائده، والثاني أمر معنوي مجرد، يحتاج في إدراك أثره إلى جهد ذهني، وتشارك الاستعارة في تقريبه وتوضيحه.

المبحث الثاني: بنية المجاز المرسل.

ومن ذلك ما جاء في خطبة حجة الوداع المشهورة، قال صلى الله عليه وسلم:

"**أيها الناس، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث. والولد للفراش، وللعاهر الحجر. من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**".[٢٩]

المراد بكلمة الفراش في الخطبة صاحب الفراش، فأطلق المحل وأراد به الحال، وفي نسبة الولد إلى الفراش سر من أسرار المجاز لخروجه عن النمط اللغوي العادي، إذ جرت العادة إلى نسبة الولد إلى أحد أبويه، ولكن الرسول عدل عن ذلك إلى الأسلوب المجازي ليكون قاعدة علمية عامة وثابتة في كل زمان ومكان، صلى الله عليه وسلم. أما قوله: "وللعاهر الحجر" فمجاز مرسل من باب إطلاق اسم الآلة وإرادة تأثر فيه أو ما تترك من الأثر في الشيء، والمراد بالحجر هنا الحد، الذي ينفذ بواسطته، وفي اختيار لفظ الحجر إثبات لقاعدة شرعية إسلامية لا تكاد تتغير بتغير الزمان والمكان.

–ومن ذلك ما جاء في خطبة لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال:

"**أما بعد: فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها**".[٣٠]

أطلق أمير المؤمنين كلمة الدنيا وأراد بها ما خولهم الله من نعيم الدنيا وملذاتها، من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء، على طريق المجاز المرسل، وفي إيثار التعبير بلفظ الدنيا تحقير لها لأنه مشتق من الدناءة بمعنى الحقارة وعدم الثبوت بقرب الزوال، لأن من معاني مادة دنى المقاربة، "وَمِنْ ذَلِكَ الدَّنِيُّ، وَهُوَ الْقَرِيبُ، مِنْ دَنَا يَدْنُو. وَسُمِّيَتِ الدُّنْيَا لِدُنُوِّهَا"[٣١]، كما استعمل كلمة الآخرة وأراد بها ما فيها من نعيم الجنة، لأن الكافر لا يعتبر حيا في النار، لقوله تعالى:﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾[طه: ٧٤]. فالآخرة دار المتقين. ولا يخفي ما في المجازين من الإيجاز.

وقال زياد في خطبته البتراء:

"**ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا. فكفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكف عنكم يدي ولساني. ولا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام أحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته. إني والله لو علمت أن أحدكم قد قتله السلّ من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره. فاستأنفوا أموركم، وأرعوا على أنفسكم، فرب مسوء بقدومنا سنسرّه ومسرور بقدومنا سنسوؤه**".[٣٢]

أطلق زياد كلمتي اليد واللسان في قوله: "فكفوا عني أيديكم وألسنتكم" وأراد بالأول ما يصدر من اليد من أنواع الأذى كلها، وبالثاني ما يطلق باللسان من جميع الألفاظ الجارحة، وهذا لون من الطراز المجازي، حيث أطلق الآلة وأراد ما تؤثر فيه. واختيار هذا الأسلوب أقرب إلى الإيجاز من محاولة ذكر تلك الألفاظ التي يطلبها هذا الحقل الدلالي للتعبير عن تلك المعاني المختلفة، فمن اليد تصدر –ضرب –قذف –طعن –قتل –رمي إلى آخرها، كما أنه من اللسان شتم –سب –ذم –كذب – قذف طعن إلى غير ذلك.

وجاء في خطبة لسيدنا عمرو بن العاص "رضي الله عنه":

"**إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي، وقد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، منهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تطلوه**".[٣٣]

استعمل كلمة الدم في قوله: "وفي دمكم أن تطلبوه" وأراد بها الثأر، ولما بين البعدين من العلاقة السببية، فدم سيدنا عثمان هو السبب الذي أدى بهم إلى فكرة الأخذ بالثأر، واختيار هذا الأسلوب المجازي في هذا السدد يزيد الخطبة قوة وتأثيرا في نفوس السامعين، لأن الدم شيء حسي له علاقة جذرية بحياة الإنسان، فلا بد وأن يؤثر التعبير به في عقول السامعين أكثر.

ومن كلام لعلي كرم الله وجهه:

وطيبوا عن أنفسكم نفسا، وامشوا إلى الموت مشيا سجحًا[٣٤]**، وعليكم بهذا السواد**[٣٥] **الأعظم، والرواق المطنب**[٣٦]**، فاضربوا ثبجه**[٣٧]**، فإن الشيطان كامن في كسره**[٣٨]**، قد قدم للوثبة يدا، وأخر للنكوص رجلًا، فصمدًا صمدًا**[٣٩]**، حتى ينجلي لكم عمود الحق، وأنتم الأعلون، الله معكم، ولن يتركم**[٤٠] **أعمالكم**".[٤١]

أطلق رضي الله عنه في هذا المقام كلمة "الرواق" وأراد بها من كان فيه من معاوية وحاشيته فذكر المحل وأراد الحال فيه، كما أراد بقوله: "فاضربوا ثبجه" أي من في وسطه فأطلق كلمة "الثبج" وأراد بها من حل في الثبج من أنصار معاوية، والطريف في الخطبة ما جاء فيها من الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال معاوية وأعوانه بحال من يتردد في أمره فقدم رجلا وأخر أخرى، غير أنه أتى بالمثل على ظراز جديد، فقال: "قد قدم للوثوب يدا وأخر للنكوص رجلا" وهذه صورة لحيوان مفترس يتردد في اصطياد فريسته، وقد يعد هذا من تجديدات سيدنا علي كرم الله وجهه.

وجاء من خطبة أخرى، قوله:

"**وحتى يصدع جباههم بعمد الحديد، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان، أين أهل الصبر، وطلاب الأجر؟** ".[٤٢]

أطلق كلمة الحديد في قوله: "عمد الحديد" وأراد بها كل ما يصنع من الحديد من أنواع الأسلحة الحربية، من سيوف، ورماح، ونبال، وعير ذلك، فأطلق الآلة وأراد ما يصنع منها من الأدوات الحربية، لما بينها من العلاقة الآلية.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم، فتوتروا[٤٣] ثأركم، وتؤلتوا[٤٤] أعمالكم، لكل أجل كتاب، ولكل بيت إمام، بأمره يقومون، وبنهيه يرعون،[٤٥]

المراد بكلمة: "الثأر" في قوله: " فتوتروا ثأركم" هم العدو، لأنهم موضع الثأر، فاختار أن يعبر بالحال عن المحل.

المبحث الثالث: بنية المجاز العقلي .

ومن ذلك ما جاء عن رسول الله صلى عليه وسلم من خطبة الوداع:

"**فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب. وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن_أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية. والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.**

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله. إن الزمان قد استدار كهيئته_يوم خلق الله السماوات والأرض. وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم، ورجب الذي بين جمادي وشعبان.

ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد!"[٤٦]

تعبيره صلى الله عليه وسلم بلفظ "الدماء" في قوله: "إن دماء الجاهلية موضوعة" ولفظ الدم في قوله: "وأول دم نبدأ به" نوع من المجاز، وأراد بهما الأخذ بالثأر الذي نهى عنه الإسلام وعوضه بالدية، وذلك لأن التعبير بالدم يحدد سبب الأخذ بالثأر، فعبر بالسبب وأراد المسبب.

كما أسند فعل "استدار إلى ضمير الزمان في قوله: إن الزمان قد استدار" وهذا نوع من التعبير المجازي، لأن الله هو الذي يقلب الأمور، ويداول الأيام، وقد أسند الفعل إلى ضميره؛ لما بينه وبين الحدث من المناسبة الزمنية، أي أن الاستدارة حدثت في الزمان، فأصبح كأنه هو نفسه الذي استدار.

ومما جاء من خطبة معاوية لما حضرته الوفاة، قوله:

"**ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع من سببه، فقصرت به الحال عن أمله. فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى. وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، وخائف منقمع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وموجع ثكلان، قد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة، فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامزة، وقلوبهم قرحة، وقد وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قلوا**".[٤٧]

استخدم في الخطبة خمسة تعبيرات مجازية عقلية وهي:

قوله:

١. أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه.
٢. فقصرت به الحال عن أمله.
٣. غضّ أبصارهم ذكر المرجع.
٤. أراق دموعهم خوف المحشر.
٥. أخملتهم التقية.

ادعى معاوية رضي الله عنه . في الأول، أن ضؤولة النفس أقعد بعضهم عن التطلع إلى عريكة الملك، فأسند الفعل "أقعد" إلى المصدر المؤول من أن ومعموليها، أي ما أقعده عن طلبها إلا لأنه ضئيل النفس، فالضؤولة إذاً هي السبب في القعود، لذلك أسند الفعل إليها للإيجاز.

كما أن الحال في الثاني هي التي قصرت صاحبها عن أمله، مع أن في الحقيقة أن الحال لا تقصر الإنسان عن عمله، وإنها يحدث ذلك بمشيئة من الله، وإسناد الفعل إلى الحال، نوع من أنواع المجاز العقلي لغرض الإيجاز والمبالغة.

وكذلك إسناد فعل "غض" في الثالث إلى ذكر المرجع، نوع من التجوز الأسلوبي لغرض المبالغة، لأن ذكر المرجع يكون سببا لغض البصر والإعراض عن الدنيا وملذاتها.

وأشار في الرابع إلى أن خوف المحشر هو الذي أراق دموعهم، والحقيقة أن العيون هي التي تريق الدموع، وأما خوف المحشر فسبب من أسباب إراقة الدموع، وإسناد الفعل إليه يزيد المعنى تعلقا بالأذهان.

ونسب تخميل في الخامس إلى التقية، وفي الحقيقة الله سبحانه وتعالى هو الذي أخملهم، أي أخفى ذكرهم، وإنما أسند الفعل إلى التقيه لكونها سبب من أسباب الخمول، ويزيد هذه النسبة وضوحا أمام المستمع.

خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص:

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص، حين وجهه لحرب العراق؛ فقام في الناس خطيبًا فقال:

"**إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم الأقوال، ليحيي بها القلوب؛ فإن القلوب ميتة في صدروها حتى يحييها الله، من علم شيئًا فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات: فالحياء، والسخاء، والهين، واللين. وأما التباشير: فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابًا، وبشر لكل باب مفتاحًا؛ فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحدًا، واكتف بما يكفيه من الكفاف؛ فإن من لم يكفه الكفاف، لم يغنه شيء، إني**

بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه؛ فأنهوا اشكاتكم إلينا؛ فمن لم يستطع؛ فإلى من يبلغناها، نأخذ له الحق غير متعتع[٤٨]".

قد أسند الفعل "يكفي" إلى مصدره في قوله: "ما يكفيه من كفاف" وقوله: "يكفه الكفاف" وهذا نوع من أنواع المجاز العقلي، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من الإيجاز، لأن الكفاف يشمل كل ما يحتاج إليه الإنسان من أسباب العيش، من طعام وملبس ومسكن ومركب، وغير ذلك من الحاجات الضرورية، فاستغنى بذكر لفظ الكفاف عن كل هذه التفاصيل المملة، ومن خصائص هذا الأسلوب ما فيه من الجرس الإيقاعي بتكرار بعض الحروف، حيث يلفت انتباه المخاطب تكرار حرف الكاف في الجملتين أربع مرات، في حين أن حرف الفاء كرر ست مرات.

وجاء في خطبة للصديق في الإخلاص والاعتبار خطب –رضي الله عنه – قال:

"**اعتبروا عباد الله ممن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع_بهم الدهر_وصاروا رميمًا، قد تركت عليهم القالات الخبيثات وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات. وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء**".[٤٩]

المجاز العقلي في الخطبة قوله: تضعضع بهم الدهر" أي أذلهم، حيث أسند الفاعلية في الجملة إلى الدهر، والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، وسبب الإسناد وقوع الفعل فيه، فالنسبة الزمنية هي العلاقة الرابطة بين البعدين الحقيقي والمجازي.

خطبة سعد بن أبي وقاص قال:

"**الحمد لله بديئًا كان، وآخرًا يعود، أحمده لما نجاني من الضلالة، وبصرني من الغواية، فبهدى الله فاز من نجا، وبرحمته أفلح من زكا، وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق، واستقامت السبل، وظهر كل حق، ومات كل باطل، إياكم أيها النفر وقول الزور، وأمنية أهل الغرور، فقد سلبت الأماني قومًا قبلكم، ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتم، فاتخذهم الله عدوا، ولعنهم لعنًا كبيرًا، قال الله عز وجل: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:**

٧٨-٧٩] إني نكبت[٥٠] قرني، فأخذت سهمي الفالج[٥١]، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسي، فأنا به كفيل، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس، وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، وأستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله من مخالفتكم".[٥٢]

عبر بقوله: "استقامت السبل" عن كل من سلك تلك السبل من السالكين، فلما كانت السبل محل للاستقامة استغنى بذكرها عمن يسلك فيها ممن لا يكاف يحصرهم العد، وهذا باب من أبواب المجاز العقلي، حيث أسند الاستقامة إلى مكانها، ومن سر هذا الأسلوب تعميم الحكم، فصدق حكم الاستقامة في كل سالك تلك السبل من المستمعين وغيرهم ممن لم يحضر الخطبة.

وخطب الإمام علي ذلك اليوم أيضًا، فقال:

"أيها الناس: إن الله تعالى ذكره، قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفي[٥٣] بكم على الخير، إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر."[٥٤]

نسب فعل "تنجي" و "تشفي" في قوله: "تجارة تنجيكم من العذاب" وقوله: "وتشفي بكم على الخير" نسبه إلى التجارة، والمنجى الحقيقي هو الله تبارك وتعالى، ويفيد الإسناد كون هذه التجارة سببا لتحقق النجاة، والإشفاء على الخير، فأصل الكلام: تجارة تكون سببا لنجاتكم من العذاب، وسببا لإشفائكم على الخير، فبلاغة المجاز في هذا الصدد الإيجاز.

خطبة أخرى له:

"إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن درّاك، يخرج منهم النسم[٥٥]، وضرب يفلق منه الهام[٥٦]. ويطيح العظام[٥٧]، وتسقط منه المعاصم[٥٨] والأكف.[٥٩]

لما أراد سيدنا على أن يحمل جنده على الإقدام ويحثهم على الانتقام بالعدو، لجأ إلى أسلوب جزل يتمشى مع المقام، فأتى بصور بيانية مثيرة للانتباه، ومحركة للمشاعر والوجدان، أمثال قوله: "طعن درّاك يخرج منهم النسم" و"ضرب يفلق منه الهام ويطيح العظام.

كل هذه عبارات مجازية تؤدي دورها في تأكيد العلاقة بين ما يقوم به الإنسان من جهد وبين ما يتبع ذلك من الزفر بما يسعى وراءه من المطالب، فالطعن الحازم والضرب الشديد سبب من

أسباب القضاء على العدو، وهلاكه، لذلك أسند إخراج الروح إلى الطعن الدرّاك، في قوله: "طعن درّاك يخرج منهم النسم" كما أسند فلق الهام وإطاحة العظام إلى الضرب الشديد في قوله: "وضرب يفلق منه الهام، ويطيح العظام.

[خطبة علي في الشكوى من أنصاره]

قام فيهم خطيبا فقال:

"**أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤكم. كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم. تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد. ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل. سألتموني التأخير دفاع ذي الدّين المطول.**"[٦٠]

يعاتب عليّ رضي الله عنه أنصاره على التقصير، ويبين لهم مواضع الضعف فيهم، فاختار لذلك أسلوبا يلائم المقام، يقرب أحاسيسه إليهم. حيث أسند اطماع العدو فيهم إلى أفعالهم التي تسبب فيهم خلل يطل منها العدو مواضع الضعف فيهم، فقال: "وفعلكم يطمع فيكم عدوكم" أي يكون سببا في طمعهم فيكم.

كما أسند العز إلى الدعوة في قوله: "ما عزت دعوة من دعاكم" والحال أنها سبب من أسباب العز، فسلب العز عن دعوة من دعاهم، يعني سلبها عن الداعي.

خطبة من خطب معاوية[٦١]

"**أيها الناس، أنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يعدّ فيه المحسن مسيئا، ويزداد فيه الظالم عتوا، ولا ننتفع بما علمناه، ولا نسأل عما جهلناه، ولا نتخوف قارعة حتى تحلّ بنا. فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه، وكلال حدّه، ونضيض وفره. ومنهم المصلت لسيفه، المجلب بخيله ورجله، المعلن بسره، قد أشرط لذلك نفسه، وأوبق دينه، لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه، ولبئس المتجر أن تراها لنفسك ثمنا، ومما لك عند الله عوضا.**"

فقوله: "دهر عنود" فيه شيء من تجوز حيث نسب صفة العناد إلى الدهر، والحقيقة أن الدهر لا يكون سوى زمن تحدث فيه المعاندة، فأصل الكلام أن يقول: "أصبحنا في دهر يكثر فيه العناد" فعدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب مجازي عقلي لما فيه من إيجاز غير مخل بالمعنى. ومن خصائص هذا الأسلوب اختيار صيغة "عنود" لتنوب عن صيغة الفاعل "عاند"؛ للمبالغة. وقد جاء في لسان العرب "الْعَنِيدُ: الْجَائِرُ عَنِ الْقَصْدِ الْبَاغِي الَّذِي يَرُدُّ الْحَقَّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ. وَتَعَانَدَ الْخَصْمَانِ: تَجَادَلَا."[٦٢]

خاتمة :

عالجت الدراسة نماذج من خطب القرن الأول الهجري حيث وقفت على نماذج من أنواع المجاز، واقتصرت على ثلاثة منها، وهي أسلوب الاستعارة، وأسلوب المجاز المرسل، وأسلوب المجاز العقلي، وأتى بأمثلة من خطب الرسول والخلفاء والقادة وأمراء الجيش. وتوصل في آخر المطاف إلى النتائج التالية:

– تعتبر الخطابة وسيلة حوارية استخدمها الإسلام لإقناع عقل الإنسان، وإرضاء عواطفه، نحو دعوته الإلهية.

– قام المجاز في خطب القرن الأول الهجري بدور في تقريب تلك المعاني اللطيفة الغيبية التي يدعوا الإسلام إلى الإيمان بها؛ إلى عقول الناس.

– أدت الاستعارة في خطب القرن الأول الهجري دورا في تشكيل صور مجازية لتلك المعاني المعنوية، وإبرازها في ثوب حسي بديع.

– يمتاز المجاز المرسل بدره في إيجاز المعاني، ليسهل على السامعين استيعابها وارساءها في الأذهان مع إدراك ما بينها من العلاقات الدلالية.

– فتح المجاز العقلي في القرن الأول الهجري الآفاق أمام الفكر الإنساني استطاع من خلالها إدراك الروابط التي بين الأشياء، والعلاقات التي بين أسباب والمسببات، والصلة التي بين الطبيعة وما وراءها.

الهوامش

[1] درويش محمد طاهر، **الخطابة في صدر الإسلام**، دار المعارف – بمصر، ١٩٦٥م، ج١، ص١.

[2] صفوت أحمد زكي. **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**. المكتبة العلمية بيروت –لبنان ج١، ص٢٥٦.

[3] إذا اكتفى المتكلم بذكر لفظ المشبه به فقط؛ فاستعارة تصريحية أو مصرحة، نحو :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

فقد استعار: اللؤلؤ، والنرجس، الورد، والعناب، والبرد للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.

[4] ابن منظور محمد بن المكرم بن علي. **لسان العرب**. دار صادر –بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ، ج٨، ص٢٥٢.

[5] التبعية: هي ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا أو اسم فعل، أواسما مشتق، أو حرفا، أو اسما مبهما.

[6] الحابي من السهام: ما يزحف إلى الهدف.

[7] السهم الزاهق: ما جاوز الهدف.

[8] الشراب والشريب والشروب: ما يشرب.

[9] أصله موبي، مسهل عن موبئ.

[10] يرجع.

[11] قال في اللسان: "قال الأزهري: هو من الوتر "الثأر" يقال: وترت فلانًا إذا أصبته بوتر، وأوترته أوجدته ذلك "أي أظفرته به، أوجدت فلانًا مطلوبه أي أظفرته به" قال: والثأر ههنا العدو؛ لأنه موضع الثأر، والمعنى لا توجدوا عدوكم الوتر في أنفسكم".

[12] ألته حقه يألته وآلته: نقصه.

[13] رمل يضل فيه السالك، والداهية.

[14] صفوت أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٢٦٦.

[15] وَفِي الْحَدِيثِ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لاقُو العدوِّ غَدًا وَلَيْسَتْ مَعَنا مُدًى؛ هِيَ جَمْعُ مُدْية، وَهِيَ السِّكِّينُ والشَّفْرة. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَوْفٍ: وَلَا تَقْلُوا المَدى بِالإِخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ، أَراد لَا تَخْتَلِفُوا فَتَفَرَّعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَكُمْ فَيَئُلَّمَ حَدُّكم، فَاسْتَعَارَهُ لِذَلِكَ. انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٥، ص٢٧٣.

[16] صفوت أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٢٧٥.

[17] المرجع نفسه.

[18] الجاحظ عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**. دار ومكتبة الهلال –بيروت، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٤٢٣هـ، ج٢، ص٣٠.

[19] المرجع السابق، ج/٢، ص/٢١١.

[20] أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٧. والجاحظ، المرجع السابق ج٢، ص٣٨.

[21] السحر: الرئة.

[22] الصعيد: التراب أو وجه الأرض، والأبواء: قرية بها قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى "جل وعلا" للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به. وفي الحديث: "عن عائشة رضي الله عنها: قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت

عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير "بصيغة التصغير" ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته" "راجع الحديث كاملًا في باب التيمم من صحيح البخاري ١: ٧٠، وصحيح مسلم ١: ١٤٦".

[٢٣] لسان العرب (١٠/ ٢٩٧)

والفَتْق شقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ مِنْ قِبَل حَرْب فِي ثَغْرٍ أَو غَيْرِ ذَلِكَ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٩٧، مادة "فتق"

[٢٤] حش النار: أوقدها.

[٢٥] الشأْي والثأْي بسكون الهمزة وفتحها: الإفساد.

[٢٦] أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه. **المرجع السابق** ج٤، ص٢١٥ –٢١٦. وصفوت أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٣٠٦–٣٠٧.

[٢٧] قال أبو الحسن المدائني وغيره، ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب، وعن أبي بكر الهذلي قالا: قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر. قالا: فخطب خطبة بتراء، لم يحمد الله فيها، ولم يصل على النبي.

وقال غيره: بل قال: الحمد لله على أفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا.... انظر الجاحظ، المرجع نفسه.

[٢٨] النويري أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ، ج٢٠، ص٤٦. وصفوت أحمد زكي. **المرجع السابق** ج١، ص٢٩٦.

[٢٩] الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**. دار ومكتبة الهلال –بيروت، (٢/ ٢٤)

[٣٠] صفوت أحمد زكي. **المرجع السابق** ، ج/١، ص/٢٧٦.

[٣١] أبو الحسن أحمد بن الفارس. مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩، ج٢، ص٣٠٣.

[٣٢] الجاحظ عمرو بن بحر. **المرجع السابق** ج٢، ص٤٢.

[٣٣] الرجع السابق، ج١، ص٣٣٨.

[٣٤] اللين: السهل.

[٣٥] العدد الكثير. يعني جمهور أهل الشام.

[٣٦] الرواق: بكسر الراء وضمها الفسطاط، يريد به مضرب معاوية المطنب، أي المشدود بالأطناب "جمع طنب بضمتين، وهو الحبل" وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام.

[٣٧] أي وسطه.

[٣٨] جانبه.

[٣٩] الصمد: القصد، صمده من باب نصر قصده.

[٤٠]لن ينقصكم منها شيئًا.

[٤١] صفوت أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٣٤٧.

[٤٢] صفوت، أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٣٥٠.

[٤٣]قال في اللسان: "قال الأزهري: هو من الوتر "الثأر" يقال: وترت فلانًا إذا أصبته بوتر، وأوترته أوجدته ذلك "أي أظفرته به، أوجدت فلانًا مطلوبه أي أظفرته به" قال: والثأر ههنا العدو؛ لأنه موضع الثأر، والمعنى لا توجدوا عدوكم الوتر في أنفسكم".

[٤٤]ألته حقه يألته وآلته: نقصه.

[٤٥]صفوت، أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٢٦٦.

[٤٦] **المرجع السابق**، ج٢، ص٢٣.

[٤٧] **المرجع السابق**، ج٢، ص٣٩.

[٤٨] **المرجع السابق** ج١ ص٢٢٣.

[٤٩] وكالة شئون المطبوعات والنشر، **خطب مختارة**. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد –المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ، (ص: ٣٤).

[٥٠] النكب: الطرح. والقرن: الجعبة.

[٥١] الفائز الظافر

[٥٢] صفوت، أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٢٦٨.

[٥٣] أشفى عليه: أشرف.

[٥٤] صفوت، أحمد زكي. **المرجع السابق**، ج١، ص٣٤٨.

[٥٥]جمع نسمة، وهي نفس الروح "بفتح الفاء" ثم سميت بها النفس "بالسكون".

[٥٦]جمع هامة، وهي الرأس.

[٥٧]يصح أن يكون مضارع طيح بالتشديد: طيح بثوبه: رمى به في مضيعة، وطيح الشيء: ضيعه، وأن يكون مضارع أطاح: أطاح شعره أسقطه، والشيء أفناه وأذهبه، وأن يكون مضارع طاح: طاح يطيح ويطوح هلك، أو أشرف على الهلاك وذهب وسقط وتاه في الأرض.

[٥٨]جمع معصم بكسر الميم، وهو موضع السوار أو اليد.

[٥٩] صفوت، أحمد زكي. **المرجع السابق** ، ج١، ص٣٥٠.

[٦٠] الجاحظ عمرو بن بحر، **المرجع السابق**، ج٢، ص٣٧.

[٦١] رواها شعيب بن صفوان، وزاد فيها البقطريّ وغيره، قالوا: لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك. فقال: ويحك، ولم؟ قال: لا أدري، قال: فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم. وأذن للناس فدخلوا، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال: "أيها الناس ..."

[٦٢] ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٠٧.